وما سواها (288)

آفـــة الجهـــل والتجهيـــل !!

د. صادق السامرائي
الطب النفساني، العراق / أمريكا

الجهل يأكلنا ويستثمر فينا , ويستميل عواطفنا ويؤجج مشاعرنا , ويعطل عقولنا , ويرمي بنا في وهاد التصارعات , وهضاب الويلات العتيات المتراكمات فوق أكتاف أجيالنا

الآفة: كل ما يصيب شيئا فيفسده

الجهل: عدم المعرفة بالشيئ

الجهل يأكلنا ويستثمر فينا , ويستميل عواطفنا ويؤجج مشاعرنا , ويعطل عقولنا , ويرمي بنا في وهاد التصارعات , وهضاب الويلات العتيات المتراكمات فوق أكتاف أجيالنا.

وهذا إقتراب متنوع من الجهل المروع!!

أولا: الجهل المقدس!!

التقديس سلوك منحرف تتخذه المجتمعات المعاطلة اسلوبا للحياة , ووسيلة لتبرير عدم المساهمة في العطاء والنماء والإبتكار والتقدم المعاصر , وكلما إزدادت المجتمعات تعطلا وعجزا , كلما مالت نحو آليات التقديس والسقوط في وديان الغابرات ومستنقعات الباليات , لتتنفس فيها هواء الجد والإجتهاد.

التقديس سلوك منحرف تتخذه المجتمعات المعاطلة اسلوبا للحياة , ووسيلة لتبرير عدم المساهمة في العطاء والنماء والإبتكار والتقدم المعاصر

وهذه المجتمعات تتجه نحو تقديس الأفراد خصوصا , حتى ليبدو كل مَن يمتلط نشاطا وتطلعا وقدرة على الحث على النهوض على أنه مقدس , بل أن هذه الصفة قد تنتقل إلى مخلوقات أخرى واشياء وموجودات جامدة لكنها تكون رموزا مقدسة وذات معنى وإرادة سلوكية فاعلة في المجتمع.

كلما إزدادت المجتمعات تعطلا وعجزا , كلما مالت نحو آليات التقديس والسقوط في وديان الغابرات ومستنقعات الباليات , لتتنفس فيها هواء الجد والإجتهاد

وعندما يحضر الشأن الديني في الموضوع فأن التقديس يتحول إلى عادة إجتماعية وآلية تفاعلية مفروضة على الواقع القائم , فيكون أدعياء الدين مقدسيين , وبهذه الوصف يتحولون إلى آلهة على البشر أن يخنع لهم ويتبعهم بلا تردد أو سؤال.

عندما يحضر الشأن الديني في الموضوع فأن التقديس يتحول إلى عادة إجتماعية وآلية تفاعلية مفروضة على الواقع القائم , فيكون أدعياء الدين مقدسيين

وهذه عادة سلوكية قديمة ولها شواهدها وأدلتها الباقية في الحضارات القديمة سواء في بلاد الرافدين أو الحضارات المصرية.

أي أن السلوك البشري لم يتغيير في جوهره وفحواه , وإنما إتخذ مسارات متوافقة مع زمانه ومكانه في معظم الأحيان , فالسلوك بصورة عامة محفوف بالتقديس ومرهون بالتبعية والخنوع المطلق لما هو مقدس ومؤثر في خطوات البشر فوق التراب.

فالملوك والسلاطين في غابر الأزمان كانوا آلهة أو أنصاف آلهة أو أشباهها , فلا يمكن للبشر أن يتحكم بمصير البشر إلا عندما يكون صاحب طاقة خارقة وقوة مطلقة وهذه هي من صفات الألوهية التي عليها أن تُضفى على البشر لكي يكون حاكما مطلقا.

والحكم المطلق نظام سلوكي متجذر في المجتمعات كافة وبلا إستثناء , وقد يتخذ مسميات كالقبيلة والعشيرة والفئة والحزب وغيرها العديد من التوصيفات والتقنينات اللازمة لصناعة الفرد المطلق الصلاحيات أو المقدس وإن شئت الإلـ.

وحتى العصابات يكون رئيسها مقدسا ومطلق الصلاحيات وطاعتـ واجبة ولا يمكن إ تنفيذها والعمل بموجب توجيهاتـ والخضوع التام لإرادتـ.

أي أن البشر يختزن كيانا تفاعليا مبنيا على هذه الهيكلية السلوكية المتحكمة بـ وفيـ منذ الأزل.

وثد تتخذ هذه الآلية الكامنة صياغات وتعبيرات وتنوعة لكن جوهرها واحد وثابت , ولهذا فأن البشر في اي مجبمع بين آونة وأخرى يسعى لصناعة المقدس الذي يطلق يده في العبث بحاضره وبمستقبلـ , كما حصل في أوربا وقارات غيرها تجرعت الويلات والعذابات على أيدي الذين قدّستهم.

والغريب في الأمر أن المجتمعات كلما إنحرفت نحو الجهل كلما إزداد ميلها للتقديس , وتحولت إلى لقمة سهلة على موائد المفترسين.

فالجهل من أهم العوامل التي تساهم في تقوية السلوك التقديسي لكل شيئ في محيط الجاهلين المتورطين بعواطفهم وإنفعالـتهم الهوجاء.

ثانيا: الجهل المكرّس!!

المفكرون العرب يتحدثون عن الجهل المقدس , أي أن المجتمع يقدس الجهل بتكرار عقائد دوغماتية غير خاضعة للتحقيق العلمي , ومنهم مَن يذهب إلى الجهل المؤسس , ويعني بـ النظام التربوي الذي يؤسس للجهل ويغلق الأبواب أمام المعرفة والتفكير ويعطل العقل , ويمعن بالتلقين وعدم تشجيع الإنسان على إستعمال عقلـ لأنـ من المحرمات.

ومعظمهم يخشى أن يشير إلى بيت الداء ويدور حولـ , خوفا من التكفير والإتهام بالزندقة وغيرها من الإتهامات , التي يسهل إطلاقها والعمل بموجبها من قبل أعداء الثقافة والمعرفة وإعمال العقل.

فبيت الداء أن تجارالدين يسمحون بالتعلم والمعرفة وينكرون على البشر وجود العقل , فهم الذين يعرفون وعندهم العقل والحكمة والقول الفصل , وما على البشر إ أن يتبع ويطيع ولا يجوز لـ السؤال , لأن في ذلك زعزعة لقدسيتهم ومقامهم الجليل.

وهؤلاء هم الذين يكرسون الجهل ويعملون بجد ونشاط على إدامتـ , والحث الدائب على التجهيل والتدمير العقلي , للذين إمتطوا مصيرهم بإسم ما يدّعون من طائفيات ومذهبيات وآليات إستعبادية وتدميرية للبشر والدين.

فهم يعتقدون بعقائد أوجدوها ويحسبونها دين , وهي تمت بصلة إلى جوهر وحقيقة الدين , وإنما من وحي تأويلاتهم وتسويغاتهم وتطويعاتهم اللازمة لتمرير ما يرغبونـ ويذهبون إليـ , فيخدعون أنفسهم ويضللون الناس من حولهم , ويمعنون بتجهيلهم وحرفهم عن الصراط المستقيم والنهج القويم.

ووفقا لذلك فالجهل أكثر من مقدس , وإنما أصبح عندهم طقس تعبدي , وأساس للإيمان , فما عليك إ أن تؤمن بقلبك وتعطل عقلك , لأن ما يأتي بـ العقل وساوس وأضغاث وهمسات شياطين تريد أن تبعد المؤمن عن الدين.

ومن الواضح أنهم يشجعون على الجهل والتجهيل , فكلما زاد عددهم وتأثيرهم في المجتمع تنامى الجهل

الملوك والسلاطين في غابر الأزمان كانوا آلهة أو أنصاف آلهة أو أشباههما

لا يمكن للبشر أن يتحكم بمصير البشر إلا عندما يكون صاحب طاقة خارقة وقوة مطلقة وهذه هي من صفات الألوهية التي عليها أن تُضفي على البشر لكي يكون حاكما مطلقا.

حتى العصابات يكون رئيسها مقدسا ومطلق الصلاحيات وطاعته واجبة ولا يمكن إلا تنفيذها والعمل بموجب توجيهاته والخضوع التام لإرادته

أن المجتمعات كلما إنحرفت نحو الجهل كلما إزداد ميلها للتقديس , وتحولت إلى لقمة سهلة على موائد المفترسين

معظمهم يخشى أن يشير إلى بيت الداء ويدور حوله , خوفا من التكفير والإتهام بالزندقة وغيرها من الإتهامات , التي يسهل إطلاقها والعمل بموجبها من قبل أعداء الثقافة والمعرفة وإعمال العقل

هم يعتقدون بعقائد أوجدوها ويحسبونها دين , وهي لا تمت بصلة إلى جوهر وحقيقة الدين , وإنما من وحي تأويلاتهم وتسويغاتهم وتطويعاتهم اللازمة لتمرير ما يرغبونه ويذهبون إليه

وتعاظمت الأمية , ولن تجد منهم مَن يسعى إلى التثقيف والتعليم ومحاربة الجهل والأمية , لأن في ذلك خسارة كبيرة لوجودهم التضليلي ودورهم الإستعبادي , ويؤدي إلى أضرار تجارية هائلة يمكن القبول بها.

فالبشر بضاعتهم وبـ تنتعش تجارة الدين , ولكي تكون البضاعة مربحة يجب أن يكون الجهل علامتها الفارقة وماركتها التجارية المتميزة.

فهل عند المفكرين العرب الجرأة بتسمية الأشياء بأسمائها بدـ من المصطلحات التي تدور حول المعضلة , وما أوجدوا حلا فاعلا لأية مشكلة تمخر الواقع العربي على مدى عقود , ولن يعفيهم قولهم بأن هذا ليس من واجبهم؟!!

ثالثا: الجهل والغباء والدين الوباء!!

عاملان أساسيان ومؤثران في الأحداث والتطورات والتفاعلات المتداعية القائمة في المنطقة , وقد تسببا بما يُصدق من الصراعات والخسائر والإنتكاسات المروعة التي خيمت على مسيرات أجيال إختنقت بالخيبات والحسرات.

فالجهل بما يفكر بـ الآخرون ويتربصون لـ وعدم معرفة كيفيات وآليات التصدي والمناورة والمواجهة الحكيمة الصائنة للمصالح الوطنية , والغباء المستشري في أروقة الكراسي وباحات السلطات المتسيدة بقدرات الطامعين بشعبها وأرضها , أسهما بتفعيل خطط ومشاريع المفترسين الشرسين ووفرا لهم الفرص والقدرات الكفيلة بالإفتراس المروع المريح.

وبسببهما صار الدين وباءً وآلة لتحطيم الوجود ومحق الحياة وبناء ميادين الإقتتال والتصارع الدامي ما بين أبناء الشعب الواحد والدين الواحد , حتى لترنو متعجبا ومندهشا وقد تعطلت العقول وتفجرت أقياح النفوس وإندلعت آفات الشرور.

ولو نظرنا إلى أية مشكلة أو مواجهة سينكشف لنا دور هذين العاملين في نشأتها وتطويرها وتعقيدها وعدم القدرة على حلها , فالعرب لم يتمكنوا من حل مشكلة واحدة بينهم على مدى القرن العشرين ولـ يزالون , ولهذا تجدهم يهرعون نحو أعدائهم والمستثمرين بمشاكلهم يستجدون منهم حلولـ , فيغتنمونها فرصة لأكلهم فرادا.

فهل وجدتم مشكلة واحدة حلها العرب بأنفسهم , أو حلها الآخرون لهم؟!!

لكن العرب يمضون على ذات السكة ولـ يتعلمون أو يتعظون , مما يؤكدون على حسن الغباء وجمال الجهل الذي بـ يتمتعون وعلى أنغامـ يتراقصون.

قد يقول قائل أن هذا كلام جائر وتعدي على الساسة العرب , لكن الأحداث والوقائع على مدى أكثر من قرن تشير إلى هذه الحقيقة المريرة وتؤكدها مرارا وتكرارا , وكأن الذي حصل لم يحصل , بسبب طاقة الإنكار والإسقاط والتبرير التي يتمتع بها العرب وبتفوق كبير على جميع أمم الدنيا.

فالمسؤول هو والسبب هو , أما الكرسي فأنـ بريئ ومنزه ومظلوم ومقهور ويناضل ويكافح ويجاهد من أجل الإنسان العربي , وبسبب الآخر أصاب العربي ما أصابـ , وهذا هو منطق الغباء ومنهج الجهل , وطبع العاجزين الذين باعوا عقولهم, واندحروا في الكراسي المحمية بالأسياد الأقوياء المستحوذين على مصير البلاد والعباد وبواسطة الكرسي الأمين لحين.

وقد بلغ الغباء والجهل ذروتهما عندما تم تسخير أقوى ما عند العرب لتدمير العرب , فالدين الذي

, فيخدعون أنفسهم ويضللون الناس من حولهم

الجهل أكثر من مقدس , وإنما أصبح عندهم طقس تعبدي , وأساس للإيمان , فما عليك إلا أن تؤمن بقلبك وتعطل عقلك , لأن ما يأتي به العقل وساوس وأضغاث وهمسات شياطين تريد أن تبعد المؤمن عن الدين

هل عند المفكرين العرب الجرأة بتسمية الأشياء بأسمائها بدلا من المصطلحات التي تدور حول المعضلة , وما أوجدوا حلا فاعلا لأية مشكلة تمخر الواقع العربي على مدى عقود

العرب لم يتمكنوا من حل مشكلة واحدة بينهم على مدى القرن العشرين ولا يزالون , ولهذا تجدهم يهرعون نحو أعدائهم والمستثمرين بمشاكلهم يستجدون منهم حلولا , فيغتنمونها فرصة لأكلهم فرادا.

هل وجدتم مشكلة واحدة حلها العرب بأنفسهم , أو حلها الآخرون لهم؟!!

لكن العرب يمضون على ذات السكة ولا يتعلمون أو يتعظون , مما يؤكدون على حسن الغباء وجمال الجهل الذي به يتمتعون وعلى أنغامه يتراقصون.

أخرجهم من الظلمات إلى النور صار عاملا فعالا لإخراجهم من النور إلى الظلمات , وبقدراتهم وإجتهادات جهلتهم الذين أصبحوا قادة وذوي سلطات وقدرات عسكرية لقمع المناوئين المنكرين للجهل والغباء , والدعوة للأخوة بالدين.

فهل من أدلة تدحض ما تقدم , أم أن الغباء والجهل هما الدين المبين ؟!!

قد بلغ الغباء والجهل ذروتهما عندما تم تسخير أقوى ما عند العرب لتدمير العرب , فالدين الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور صار عاملا فعالا لإخراجهم من النور إلى الظلمات

رابعا: الجهل بالوطن جلّابٌ للمحن!!

الآخرون يعرفوننا أكثر مما نعرف أنفسنا وأوطاننا وتأريخنا وحضاراتنا وما فينا من الطاقات والقدرت وما عندنا من الثروات , فهم الذين أدلونا على آثارنا , ولا يوجد عربي واحد أدّل الدنيا على حضاراتنا , أو أسهم في إكتشافها.

الآخرون يعرفوننا أكثر مما نعرف أنفسنا وأوطاننا وتأريخنا وحضاراتنا وما فينا من الطاقات والقدرت وما عندنا من الثروات

وفي مصر على سبيل المثال, جميع الآثار مكتشفة من قبل الألمان والفرنسيين والإنكليز , وكذلك في العراق , وهذه أدلة على أننا من الجهلاء بأحوالنا وبلداننا.

وبسبب الجهل الوطني أو البُلداني المروّع أصابنا ما اصابنا من الويلات والتداعيات , ذلك أن معظم الدول العربية تولى أمرها قادة يجهلونها تماما , ويتوهمون بمعرفتها , والآخرون الطامعون بها يعرفونها ويعرفونهم حق المعرفة , وبذلك يتم تمرير الخطط والمشاريع وإنجاز الأهداف المطلوبة بسهولة وسرعة.

هم الذين أدلونا على آثارنا , ولا يوجد عربي واحد أدّل الدنيا على حضاراتنا , أو أسهم في إكتشافها.

ولا يزال العرب يتنعمون بقادة يجهلونهم , ولا يعرفون البلدان التي يمتلكون زمام السلطة فيها , ومن غير البديهي أن يتمكن قادة يجهلون ما يقودون من تحقيق اي إنجاز إيجابي وصالح للوطن والمجتمع.

أن معظم الدول العربية تولى أمرها قادة يجهلونها تماما , ويتوهمون بمعرفتها , والآخرون الطامعون بها يعرفونها ويعرفونهم حق المعرفة

فلو أخذنا بلدا كالعراق , بثراءه الحضاري والمادي وتأملنا مسيرته , لتبين أن السبب الساسي في مآسيه المتلاحقة , عدم توفر القائد الذي يعرفه , فقد إبتلى بالقادة الذين يجهلونه تماما , ومنذ تأسيسه وحتى الئد يعرفه , حاى وصلنا إلى مرحلة أجهل الجهلاء بالعراق , وبسبب هذا الجهل المدقع فأنهم يعادونه ويكرهونه وينكرونه , عملا بأن البشر عدو ما جهل.

قد يقول قائل أن الذي أصاب الوطن بسبب كذا وكذا , ويمكنه أن يؤلف موسوعات وموسوعات ولا يستطيع أن يصل إلى جزيرة نجاة في يم التداعيات المتلاطم , لكن عبارة واحدة تغني عن جميع الكتابات , إنها الجهل بالعراق , فما جرى في ألفين وثلاثة وما بعدها نابع من هذه العلة المريرة التي تنخر الوجود العراقي وتمزق المجتمع , وتقدم البلاد على طبق من ذهب للطامعين به والذين يعرفونه حق المعرفة , ويبنون سياساتهم ومصالحهم على ضوء ما يعرفون , وقادتنا يقررون كل شيئ على ضوء ما يجهلون.

لا يزال العرب يتنعمون بقادة يجهلونهم , ولا يعرفون البلدان التي يمتلكون زمام السلطة فيها

فلو إمتحنت أي قائد أو مسؤول بموضوع الوطن لإكتشفت رسوبا مذهلا , فهم لا يعرفون جغرافيته ولا تأريخه ولا ما فيه وما حوله ودوره وقيمته الستراتيجية والإقتصادية والحضارية , إنهم مغيبون في متاهات الضلال والبهتان والحقد على الإنسان , وما يشغلهم هو الفساد والمتاجرة بالبشر الحيران.

لو إمتحنت أي قائد أو مسؤول بموضوع الوطن لإكتشفت رسوبا مذهلا , فهم لا يعرفون جغرافيته ولا تأريخه ولا ما فيه وما حوله ودوره وقيمته الستراتيجية والإقتصادية والحضارية

إن الخروج من المأزق الفاعل في الوجود الوطني يستدعي الجد والإجتهاد بمعرفة الوطن والعمل الدؤوب على فهمه وإدراكه والتفاعل معه بدراية ومعرفة واضحة , توفر المنارات الكفيلة برؤية المنطلقات السلوكية الصالحة للوجود الوطن العزيز ؟

أما الإمعان بجهل الوطن , فأنه يساهم في تحويل القادة إلى دمى وموجودات مسلوبة الإرادة , وفاقدة للقدرة على صناعة الحياة , فالفرق بين الذي يعرف والذي يجهل كالفرق بين النهار والليل.

فهل سنعرف الوطن ونحترمه لكي يعزّنا؟!!

خامسا: الجهل من ضرورات تجارة الدين؟!!

الجهل ضرورة اساسية للإستثمار بالدين , ولا يمكن لدين أن يترعرع إلا أن يترافق مع حركة تجهيل وتفريغ لقدرات التفكير والوعي والإدراك , وإقامة الحصار حول الناس المحكومين بالدين.

فكل دين مهما كان غدعاءه , يجتهد في إقامة الأسوار والموانع , والحواجز العاطفية والنفسية اللازمة للتجهيل , وتحقيق أعلى درجات الإمتلاك والإستعباد والتحكم بمصير أتباعه والمنتمين إليه.

وفي كل دين هنك سلوكيات تسمى طقوسية لترويض النفوس وسرقة العقل وتسخير ما في البشر لخدمة الدين.

ومنذ انبثاق الأديان في حضارة سومر وما قبلها , والقائمون على التحكم بالناس يوفرون الدواعي اللازمة للتجهيل وسيادة الأمية , لتحقيق التبعية والإذعان المطلق للإرادة الدينية أيا كان نوعها.

وهذا يفسر سعي رجال الدين في جميع العصور إلى محاربة التعليم والثقافة , وإشاعة الفقر والفاقة والحاجة , وزيادة عدد المساكين من حولهم لكي يكونون في حالة مزرية تستدعي تبعيتهم وتحويلهم إلى هبة طوعية لمشيأتهم.

وفي عصر الثورات المعلوماتية المتلاحقة , وتدفق ينابيع المعرفة وطغيان الفيضان الإنساني الفكري والثقافي , سيتسبب في زعزعة سلطة رجال الدين في كل مكان , لأن أنوار المعرفة ستزيح ظلمات التجهيل وتضع الإنسان في عالم منير ساطع الآفاق.

فعلى سبيل المثال , أمضت الكنائس قرونا في عزلتها عن الأديان الأخرى , وصنعت حواجزا عاطفية ذات إستجابات سلبية إنعكاسية ضد الآخر و وقد وصلت إلى درجة العدوانية في بعض العصور.

وفي ذات الدين الواحد , تبني الطوائف حواجزها , وجدرانها الإنعزالية للتقوقع في ذاتها وموضوعها الذي تؤازره بأعمال تستثير العواطف و وتستحضر الروايات اللازمة لترسيخ المبتغى وإدامة حرارة وقوة الهدف.

وختاما , الجهل ظاهرة شاملة وحالة جامعة لا تعني الفراءة والكتابة , وإنما إعمال العقل , ونداء "إقرأ" صرخة مدوية ضد الجهل البشري , وفيه دعوة إنسانية مطلقة لتفعيل قدرات العقل , التي عليها أن تتفكر وتتدبر وتتعقل , لتستحضر أنوار أدري , ومعارف الينابيع العلوية.

الإمعان بجهل الوطن , فأنه يساهم في تحويل القادة إلى دمى وموجودات مسلوبة الإرادة , وفاقدة للقدرة على صناعة الحياة , فالفرق بين الذي يعرفه والذي يجهل كالفرق بين النهار والليل

الجهل ضرورة اساسية للإستثمار بالدين , ولا يمكن لدين أن يترعرع إلا أن يترافق مع حركة تجهيل وتفريغ لقدرات التفكير والوعي والإدراك , وإقامة الحصار حول الناس المحكومين بالدين

الجهل ظاهرة شاملة وحالة جامعة لا تعني الفراءة والكتابة , وإنما إعمال العقل , ونداء "إقرأ" صرخة مدوية ضد الجهل البشري , وفيه دعوة إنسانية مطلقة لتفعيل قدرات العقل

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa288-190221.pdf

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2020 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها21 من التأسيس و 18 على الويب

21 عاما من الكدح... 18 عاما من الإنجازات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf